



النجوم الزاهرة
في شرح
منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة
للإمام السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ

تأليف
أبي يحيى
زكريا بن محمد هاني محمد المرعبي

الطبعة الأولى

النجوم الزاهرة

في شرح

منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة

للإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

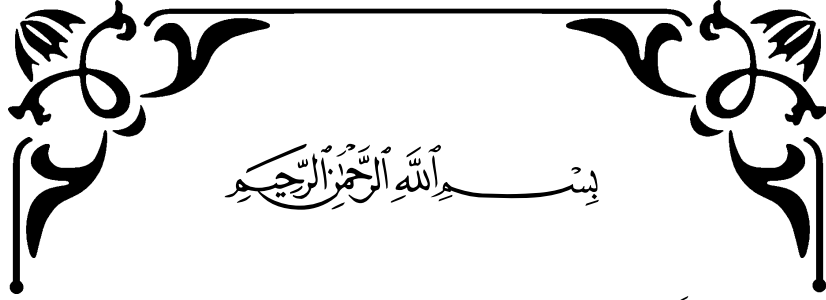
النجوم الزاهرة
في شرح
منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة
للإمام السَّعدي رَحِمَهُ اللهُ

تأليف
أبي يحيى
زكريا بن محمد هاني محمد المرعبي

الطبعة الأولى

يحق لكل مسلم طباعة هذا الكتاب

يطلب من دار الكتاب الحكيم، طرابلس - لبنان
طريق جامعة الجنان - قرب مقبرة أهل السنة الجديدة
هاتف: 961-3-331106 / 961-76-147635



١. سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى
وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ
٢. فَهُمْ الَّذِينَ قَدْ اخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ
مُتَشَرِّعِينَ بِشَرْعَةِ الْإِيمَانِ
٣. وَهُمْ الَّذِينَ بَنَوْا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ
بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدِّيَانِ
٤. وَهُمْ الَّذِينَ مَلَأُوا إِلَهُ قُلُوبِهِمْ
بِوَدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ
٥. وَهُمْ الَّذِينَ قَدْ اكْتَرَوْا مِنْ ذِكْرِهِ
فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَحْيَانِ
٦. يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفِعْلِهِمْ
طَاعَاتِهِ وَالتَّزَكُّي لِعِضْيَانِ
٧. فَعَلُوا الْفَرَائِضَ وَالنَّوَافِلَ دَائِبُهُمْ
مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالنُّقْصَانِ
٨. صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا
شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانِ

٩. نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَىٰ فَهُمْ بِهَا
قَدْ أَضْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وَأَمَانٍ
١٠. شَكَرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ
بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ
١١. صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ
مَعَ بَذْلِ جُهِدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ
١٢. عَبَدُوا إِلَهَهُ عَلَىٰ اعْتِقَادِ حُضُورِهِ
فَتَبَوَّؤُوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ
١٣. نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ
بِالْعِلْمِ وَالْإِرْشَادِ وَالْإِحْسَانِ
١٤. صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا
أَرْوَاهُ فِي مَنْزِلِ فَوْقَانِي
١٥. رَعَوْا الْخَلَائِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا
خَوْفًا عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ
١٦. عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا
قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ
١٧. حَرَكَاتُهُمْ وَهَمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ
لِلَّهِ لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
١٨. نِعَمَ الرَّفِيقِ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي
تُفْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٧٠ - ٧١.

أما بعد،

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار^(١).

ثم أما بعد؛

فإن المراد بالسير إلى الدار الآخرة هو أن تزرع في الدنيا ما يسرّك حصده يوم القيامة كما أوصى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: «ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الْآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»^(٢).

والسير إلى اليوم الآخر - أي العمل له - ليس بالأمر المسنون بل هو واجب لأن الله ﷻ بيّن أن الذي يبتغي الدنيا فهذا ماله إلى جهنم، وأي عمل عاقبته جهنم فهذا محرّم قطعاً، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾  وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ

(١) خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه في النكاح وغيره (راجع سنن أبي داود - باب في خطبة النكاح ٢٣٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري.

سَعِيَهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾^(١)، فإما أن نكون من أبناء الدنيا وهذا أمر محرّم وليس مكروهاً، وإما أن نكون من أبناء الآخرة وهذا أمر واجب وليس مسنوناً.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ وَسَدَمَهُ، وَلَهَا شَخْصٌ، وَإِيَّاهَا يَنْوِي؛ جَعَلَ اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْهَا إِلَّا مَا كَتَبَ لَهُ مِنْهَا، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هِمَّتَهُ وَسَدَمَهُ، وَلَهَا شَخْصٌ، وَإِيَّاهَا يَنْوِي؛ جَعَلَ اللَّهُ عز وجل الْغِنَى فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ صَاغِرَةٌ»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هِمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهِ هَلَكَ»^(٣).

فالسير إلى الله وجعل الآخرة نصب العين هذا من الفرائض التي يجب أن ينعقد عليها القلب، وإن الذي يفعل ذلك يكسب الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا

(١) سورة الإسراء، الآيات: ١٨ - ١٩.

(٢) أخرجه الطبراني، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾^(١)، فهي معادلة بينها الله لعباده ولا تنفع إلا مَنْ صَدَّقَ رَبَّهُ من المؤمنين الذين يعملون ولو لم يقتنعوا، لأنهم يعلمون أن دينهم مبنيٌّ على ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(٢).

وأما الذين لم يصدقوا الله في ذلك وآثروا الدنيا على الآخرة فإن مصيرهم جهنم كما في الآية: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾^(٣). ولا يعني هذا ترك العمل في الدنيا والتكسب الحلال فيها، بل إن الأخذ بأسباب المعيشة التي رخص فيها الشرع من مطالب الشريعة مع الإبقاء على كون الآخرة هي الأصل. وهو منهجُ نبويٍّ كما أخبر ابن عمر - رضي الله عنه - حيث قال: «أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمنكبي وقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ: إِذَا أَضْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَخُذْ فِي صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَفِي حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^(٤). فمدلول وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عمر أن الغريب وعابر السبيل لن يأخذ من دار الغربة أو دار العبور إلا

(١) سورة النساء، الآية ١٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٨.

(٤) أخرجه البخاري.

حاجته، في حين أنه ناصبٌ بين عينيه دار مقامته الذي يسير نحوه.

سؤال: إذا كان الذي يؤثر الآخرة على الدنيا يكسبهما جميعاً كما أوردنا في النصوص وكما يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١)، ومعلوم أن الصحابة هم أتقى هذه الأمة، قال تعالى فيهم: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ الْقَفْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(٢)، فكيف مع تقواهم نجد منهم من كان فقيراً مُعْدِماً كأبي ذرٍّ وغيره؟ وكيف برسول الله ﷺ، وأبي بكر الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾^(٣)، وعمر فاروق الأمة وقد أخرجهم الجوع في وقت لا يخرجون فيه^(٤)؟

نقول: هم مَنْ أرادوا ذلك؛ فمن الصحابة مَنْ أراد أن يعيش فقيراً وهو أعلى الدرجات، ومنهم مَنْ اختار المسكنة، ومنهم مَنْ اختار الكفاف، ومنهم مَنْ اختار الغنى وهو أدنى الدرجات بميزان الآخرة. فعلى سبيل المثال؛ قال أبو ذرٍّ - رضي الله عنه -: «والله الفقر أحب إلي من الغنى، ولَبَطَنُ الْأَرْضِ

(١) سورة الطلاق، الآيات: ٢ - ٣.

(٢) سورة الفتح، الآية ٢٦.

(٣) سورة الليل، الآية ١٧.

(٤) كما عند مسلم من حديث أبي هريرة.

أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ظَهَرِهَا»^(١). وذلك لعلمه أنه إذا تساوى الفقير مع غيره من الأغنياء بالإيمان والتقوى، دخل الجنة قبلهم بخمسمئة سنة لقوله - ﷺ -: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ»^(٢).

مثال آخر: كان من دعاء النبي - ﷺ -: «اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مِسْكِينًا وَأَمْتِنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)، والمسكنة درجة أدنى من الفقر وهي أن يكون عند الإنسان قوت لا يكفيه، فيجوع حيناً ويقتات حيناً.

ثم الدرجة الأدنى من ذلك الكفاف وهو الكفاية بقدر الحاجة. وفي الحديث: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(٤). وذلك لأن العبد مسؤول عن ماله كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربع - واحدة منهم -: وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقهُ؟»^(٥).

فيا عبد الله، المستقبل الحقيقي هو الآخرة والعمل له

(١) أخرجه الذهبي في السير.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

واجب، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١) أي
لتلك الدار. فمن نظر لتلك الدار نال الدنيا - أي ما يريد منها -
والآخرة.





١. سَعِدَ الَّذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى وَتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

سبل الردى: هي السبل التي حذر النبي - ﷺ - منها حيث قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ» - قَالَ الراوي: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(١).

فالسبل الوحيد الذي ينجي هو سبل النبي - ﷺ - وسبل أصحابه الذين رضي الله عنهم وعن اعتقادهم ومنهجهم وفهمهم. وبين النبي - ﷺ - عدد السبل الذي ستفترق عليه الأمة حيث قال: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ، إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٢).

إذا السبل هي الطرق، ولا تنشأ إلا ببدعة، والبدعة تنشأ في الغالب عن حسن نية، ولكن القاعدة الأصولية تقول: (النية الحسنة لا تبرر الحرام) أو: (لا علاقة للنيات بالمنهيات).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -:

(١) أخرجه الإمام أحمد، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني.

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١). وغالبًا ما يستدل بهذا الحديث في المواطن الخطأ، لأن معنى «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» أي: إنما الأعمال المشروعة بالنيات. حيث قال النبي - ﷺ -: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» ثم ضرب المثل بعمل مشروع بعضهم أراد به وجه الله، وبعضهم لم يرد به وجه الله؛ وهو الهجرة، قال: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ..». «فالهجرة مشروعة»، فصار معنى الحديث؛ إنما الأعمال المشروعة كالهجرة بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى من العمل المشروع في أصله، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله - أي قام بالعمل المشروع وهو الهجرة وفي نيته الله ورسوله - فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها - أي العمل مشروع ولكن الانحراف بالنية - فهجرته إلى ما هاجر إليه.

وفي الأثر: «أن رجلاً عطس أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: السلام عليكم. فغضب أمير المؤمنين وقال: وعليكم وعلى أمكم السلام، أما يدري أحدكم ما يقول إذا عطس!! إذا عطس أحدكم فليقل: «الحمد لله»^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.

وفي أثر أبي سفيان قال: «الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، الْمَعْصِيَةُ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا»^(١)، وذلك لأن العاصي يعلم أنه على خطأ، أما صاحب البدعة فيفخر ويعتبر أنه يتقرب إلى الله ببدعته.

وقال الإمام مالك - رَحِمَهُ اللهُ -: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً - رَحِمَهُ اللهُ - خان الرسالة، اقرؤوا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾». قال مالك: «فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم ديناً، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»^(٢).

فهذا البيت يتكلم في الغالب عن الشرط الأول لقبول العمل وهو المتابعة - الاتباع؛ أن يوافق عملك عمل النبي ﷺ -.



(١) أخرجه البغوي في: «شرح السنة».

(٢) الإعتصام للشاطبي.

٢. فَهُمْ الَّذِينَ قَدْ اخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ

مُتَشَرِّعِينَ بِشَرْعَةِ الْإِيمَانِ

هذا البيت يتكلم عن الشرط الثاني لقبول العمل وهو الإخلاص. فمن قام بالأعمال المشروعة وكانت نيته لله فُيْلَ، ومن صرف نيته في العمل المشروع لشيء من الدنيا رُدَّ عليه وإن كان قد قَدَّمَ أغلى ما عنده. وأول من تسعر بهم جهنم ثلاثة سُنِّيْنٍ في العمل مُتَّبِعِينَ لرسول الله - ﷺ -، ولكن كان خللهم في النية.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قَتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي: أَلَمْ أُعَلِّمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ - لَأَنْ مَحَلَّ نَظَرِ اللَّهِ إِلَى الْقَلْبِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١)، فالعمل الخالص لوجه الله ينعقد عليه القلب، والله تعالى ينظر إلى قلب

(١) أخرجه مسلم.

العبد فإن لم يجد به قراءة القرآن رغم أنه فعله بالظاهر ردّ عليه عمله - ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ - الشيطان يحاول دائماً أن يجعل عملنا غير مقبول، فيأتي عندما يهمّ أحداً بفعل الخير خصوصاً أمام الناس، فإن أمسك عن الفعل بسبب الشيطان أثم وإن قام بالعمل رياءً لم يُقبل، فالقيام بالعمل لوجه الناس شرك، وتركه لوجههم شرك. والحل كما أرشد إليه رسول الله - ﷺ - أن يمسك ثم يستعيز بالله قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»^(١)، ثم ليخرج صدقته، فإن نسي الدعاء فلا بأس بأن يستعيز بالله فقط، وتقبل صدقته بإذن الله ولو حاك في صدره الأمر - ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَآذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْ

(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى، وصححه الألباني.

فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). يدخلون النار قبل فرعون وهامان وقارون وأبو جهل، مع أنهم قاموا بأعمال هي في الظاهر صالحة لكنهم لم يخلصوا النية.

وقد يحدث هذا في صلاة المرء إذ يأتيه الشيطان في ثوب الناصح فيطلب منه تحسينها أمام من يراه، كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشَّرُّ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيَزِينُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»^(٢).

إذن في البيت الثاني تحذير من الرياء وإرشاد إلى الإخلاص.



(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

٣. وَهُمْ الَّذِينَ بَنُوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ بَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ لِلدَّيَانِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ أَوَّلَ رُفْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يُبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»^(١).

هذه هي المنازل التي يسعون لنيلها والتي تُنال بأن تعبد ربك بين الرجاء والخوف، فإن الله تعالى قد جعل أهل النجاة على هذين الجناحين، إذا كُسر أحدهما فإن الإنسان على مشارف الهلاك. وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٢)، كما ومدح بذلك الأنبياء بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾^(٣). فما ذكر الله الجنة في الغالب إلا وأتبعها بذكر

(١) أخرجه مسلم وغيره.

(٢) سورة السجدة، الآية ١٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٩٠.

النار، وما ذكر النار إلا وأتبعها بذكر الجنة حتى نكون على جناحي السلامة.

وقد تألى المتصوّفون على الله تبارك وتعالى حيث نسبوا كلامًا إلى رابعة العدوية وتبنّوه فقالوا أنها قالت لربها: «ما عبدتك خوفًا من نارك ولا طمعًا بجنتك إنما عبدتك حبًّا لك». وكذبوا بذلك، لأن من أحب الله سعى إلى الله على الطريقة التي يحبها الله، والله تعالى يحب من عباده المؤمنين أن يعبدوه خوفًا وطمعًا، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾^(١)، هذه هي العبودية الصحيحة ومن زعم غير ذلك فقد كذب على نفسه.



(١) سورة الزمر، الآية ٩.

٤. وَهُمْ الَّذِينَ مَلَإُوا إِلَهُ قُلُوبَهُمْ
بِوَدَادِهِ وَمَحَبَّةِ الرَّحْمَانِ

الذين يعبدون الله بين الرجاء والخوف هم الذين يحبون الله، لأنهم تقربوا إليه وأدوا شرط المحبة وهو الاتباع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

فإذا أردت أن تنال محبة ربك، قدم بين يديه ما يحبه. يقول الشاعر (٢):

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا محال في العقول بديع
لو كنت تضر حبه لأطعته
إن المَحِبَّ لمن يحب مطيع
عن النبي ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ لِلَّهِ
وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» (٣).



(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٢) البيتان لمحمود بن حسن الوراق المتوفي ٢٢٥هـ، انظر بهجة المجالس (١/٣٩٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد، وحسنه الألباني.

٥. وَهُمْ الَّذِينَ قَدْ أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ
فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ وَالْأَحْيَانِ

للذكر فوائد عظيمة جدًا، منها؛

● عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

● ومنها أن الله - جلّ في علاه - يذكر من ذكره، قال أبو عثمان النهدي: «والله إني لأعرف متى يذكرني ربي. قالوا: وكيف ذلك؟! فقال: «قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾»^(٢).

● ومنها أن الله تعالى يصلي على الذاكر لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾^(٣). وصلاة الله على العبد هي ذكر العبد بالثناء والمدح في الملأ الأعلى، وهو مثل تفسير صلاة الله على رسوله - ﷺ -، كما قال أبو العالية: «وصلاة الله على

(١) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١ - ٤٣.

رسوله الثناء عليه عند الملائكة»^(١).

● ومنها أن الذكر يذكر بصاحبه باسمه حول العرش، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَظُفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِي النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَّا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»^(٢).

● ومنها معية الله، لقوله - ﷺ -: «إِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ قَالَ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»^(٣). وورد في هذا الحديث شرط الذكر وهو تحريك الشفتين، خلافاً لقول من قال أن الذكر في القلب دون تحريك الشفتين كافٍ.

وغيرها من الفوائد الكثير بفضل الله، غير أن هناك فقه للذكر علينا أن نفقهه ونعمل به لنحرز هذه الأجور العظام. نقول إن الإنسان إذا وقف عند كل ذكر وعمل به أتى بالإسلام جميعاً وهذا هو المطلوب. أما إن اكتفى بتحريك الشفاه وخالف القول العمل فليس بذاكر، ولا ينال ما ترتب على ذكره من أجور. كإنسان يقول: «لا إله إلا الله» وهو يعبد صنماً، فحكمه مشرك لأنه ذكر بلسانه وخالف بقلبه وجوارحه، ولأن حقيقة (لا إله إلا الله) تقتضي ترك الشرك.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري.

ولو أن إنساناً يمارس معصية وهو يردد: «أستغفر الله»،
أستغفر الله»، لما كان هذا استغفاراً لأن حقيقة الاستغفار ترك
الذنب. وكذلك فإن حقيقة قول (سبحان الله) تنزيه الله عن الشرك
والشك بالقلب والجوارح. وحقيقة قول (الله أكبر) ألا تجعل في
حياتك أكبر من الله تعالى، أي أن يكون حكم الله أكبر من كل
الأحكام وأمره أكبر من كل الأوامر، وعلى ذلك فقس.

وفوائد الذكر لا نتحصل عليها إلا بالاحتساب كما هو
حال سائر العبادات، حيث يتوجب على العبد أن يحضر بقلبه
حال ذكره لله تعالى وأن يريد بذلك الأجور التي وعده الله بها
إن أتى بهذا العمل الجليل، فمن ذكر الله بقلب غافل فهو غافل
وليس بذاكر وبالتالي ليس له أجر الذاكر.

والخلاصة، لكي تنال الأجور العظيمة المترتبة على
ذكر الله، عليك أن تتبع طريقة النبي ﷺ بالذكر، بأن تحرك
شفتيك به، وتستحضر معناه في قلبك، وتطبقه بجوارحك محتسباً
الأجر. والله الله في الإخلاص.

ورد في البيت: في السر والإعلان والأحيان

السر: ذكر الانسان ربه في نفسه مع تحريك الشفتين.
مثاله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ قَالَ:
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ
كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري.

الإعلان: دعوة الناس إلى دين الله، وإلى طاعته،
وتذكيرهم به وبأسمائه وصفاته. مثاله: نُصح الخلق، فهذا
ذكرٌ لله وتذكير به وبأحكامه.

والأحيان: فالمراد بها المناسبات التي قُيّدت بها أذكار
معينة، فمن الأذكار المقيّدة؛ أدعية الطعام، ولبس وخلع
الثياب، وعند نزول المطر، وبعد الأذان، وغيرها الكثير.

فائدة: الأذكار والأدعية المقيّدة لا يرفع فيها العبد يديه
إلى السماء.



٦. يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الْمَلِكِ بِفِعْلِهِمْ طَاعَاتِهِ وَالتَّركِ لِلْعِضْيَانِ

ثم بعد ذكره للذاكرين الله تعالى عقب بذكر العمل، لأن التقرب إلى الله تعالى لا يكون بالقول دون العمل بل بهما جميعاً، وهذا تعريف الإيمان عند أهل السنة. كما قال الفضيل - رَحِمَهُ اللهُ -: «تقول الجهمية: الإيمان المعرفة، وتقول المرجئة: الإيمان قول بلا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل جميعاً»^(١).

فمن الذين قالوا أن الإيمان المعرفة «الجهمية»، والرد عليهم في قوله تعالى عن اليهود: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(٢)، فمع كونهم يعرفونه لكنهم كفار. ومن الذين قالوا الإيمان القول «المرجئة»، وهم للأسف أكثر هذه الأمة وإن زعموا أنهم على السنة، فإن القول دون العمل سنة المنافقين كما بين الله تعالى في آيات كثيرة، منها: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا

(١) أخرجه الإمام عبد الله بن الإمام لأحمد بن حنبل في كتابه «السنة».

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

(٣) سورة المنافقون، الآيات: ١ - ٢.

بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ (١).

وهناك نصوص كثيرة تبين أن التقرب إلى الله لا يكون
بالقول وحده، منها ما جاء عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْفِيَاةِ فَيُلْقَى فِي
النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى،
فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» (٢).

وفي ذلك بيان للفرق بين السماع الذي يكون بتلقي الوحي
بلا عمل؛ ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ (٣)، والاستماع الذي
يكون بالتلقي مع العمل؛ ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَسْتَمِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أَهْلُ
الْأَلْبَابِ ﴿٨﴾﴾ (٤).



(١) سورة النور، الآية ٤٧.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) سورة الجاثية، الآيات: ٧ - ٨.

(٤) سورة الزمر، الآيات: ١٧ - ١٨.

٧. فَعَلُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ دَابُّهُمْ مَعَ رُؤْيَا التَّقْصِيرِ وَالنُّقْصَانِ

قدّم الناظم الفرائض على النوافل لأن العبد لا يدخل الجنة حتى يقوم بما افترض الله عليه، فإن كان تاركًا لبعض الفرائض أو مرتكبًا لكبيرة من الذنوب فإنه يدخل النار ابتداءً ولو كان كثير التنفل، بدليل قوله تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَتْهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ؛ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١).

ودليل آخر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالُوا لِلنَّبِيِّ - ﷺ -: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدِّقُ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»^(٢). أي في النار ابتداءً تُعَذَّب بالكبائر ثم إذا دخلت الجنة تجد ما وعدت به من أعطيات النوافل.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

٨. صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى الْمَكَارِهِ كُلِّهَا شَوْقًا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ إِحْسَانٍ

ومن المكاره البلاء، والمؤمن يجب أن ينظر إلى البلاء على أنه رسالة حب من الله تعالى، بدليل ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»^(١).

قوله: (شوقا إلى ما فيه من إحسان)؛ أي شوقا للأجور المترتبة على الصبر عليه. لأن البلاء أمانة حب الله كما تقدم. ولأنه سبب للمغفرة كما قال عليه الصلاة والسلام: «فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكُهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»^(٢). ولأنه سبب لبلوغ المنازل العالية كما قال - ﷺ -: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ إِيَّاهَا»^(٣).



(١) أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الإمام أحمد وغيره، وصححه الألباني.

٩. نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمْ بِهَا
قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وَأَمَانٍ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «عِظْ
الْجَزَاءَ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ
رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»^(١). والعبد يرضى
ويفرح بالبلاء لما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ»، قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى
بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يَحُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ
أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ»^(٢).

ولكن عليك ألا تطلب البلاء. ومن أنواع الطلب المخفي
قول القائل المعافى وقبل أن يأتيه البلاء: (اللهم اجعلنا من
الصابرين)، وكأنه يطلب البلاء والصبر عليه. بل إن نزل البلاء
فحينها قل كما قال الأنبياء ومنهم إسماعيل عليه السلام: ﴿قَالَ يَتَابَتِ
أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).

والبلاء لا يأتي إلا ضمن وسع المرء لحديث: «يُبْتَلَى
الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ،
وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»^(٤).

(١)(٢) أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني.

(٣) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

(٤) أخرجه ابن ماجه وغيره، وصححه الألباني.

١٠. شَكْرُوا الَّذِي أَوْلَى الْخَلَائِقَ فَضْلَهُ بِالْقَلْبِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَرْكَانِ

قرن الناظم بين الشكر والعمل، وهذا هو الفرق بينه وبين الحمد. فالحمد هو إسناد النعمة إلى الله، أي إقرار القلب أنها من عند الله وحمده باللسان، وأما الشكر فهو إقرار القلب والعمل بالجوارح، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(١)، وهذا هو الشكر المترتب عليه الزيادة كما في الآية: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢). فتشكر الله على نعمة المال مثلاً بالإنفاق فتأتيك الزيادة كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).



(١) سورة سبأ، الآية ١٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

١١. صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ
مَعَ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَى الرَّحْمَانِ

والتوكل إن اقتصر على القلب صار توكلاً، والتوكل الحق هو الذي يقتصر بأعمال تقرب إلى الله عز وجل، لقول النبي ﷺ: «اغْلُظْهَا وَتَوَكَّلْ»^(١).

فلا يصح مثلاً قول إذا أراد الله أن يهدي العصاة فسيهتدون دون أن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، فمثل هذا يورث تشبيطاً للهمم ينافي مراد الله تعالى منا. فهذا رسول الله ﷺ أعظمنا توكلاً على الله، وهو القائل: «لَيْبُلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ - الْإِسْلَامَ - مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»^(٢) ومع ذلك أمضى سني عمره داعياً إلى الله ﷻ.



(١) أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

١٢. عَبْدُوا إِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ
فَتَبَوُّوا فِي مَنْزِلِ الْإِحْسَانِ

عبادة الله تعالى يجب أن تكون في أعلى درجاتها وهي الإحسان فعندما أتى جبريل النبي عليهما السلام فسأله عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١). ومن مظاهر الإحسان في العبادة ما ورد في حديث زيد بن أسلم أنه قال: مرَّ ابنُ عُمَرَ بِرَاعِيٍ غَنَمٍ فَقَالَ: يَا رَاعِيِ الْغَنَمِ هَلْ مِنْ جَزْرَةٍ؟ قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَا هُنَا رَبُّهَا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَقُولُ: «أَكَلَهَا الذُّبُّ» فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللَّهُ؟ فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي وَاشْتَرَى الْغَنَمَ فَأَعْتَقَهُ، وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ^(٢).



(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطبراني، وحسنه الألباني.

١٣. نَصَحُوا الْخَلِيقَةَ فِي رِضَى مَحْبُوبِهِمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِشَادِ وَالْإِحْسَانِ

أي نصحوا كل الخلق الكافر والمسلم، وهذه هي الغاية التي من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٢). ونصيحة الكافر بإخراجه من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد، ونصيحة المسلم بإخراجه من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ومن ظلمات البدع إلى نور الإتيان وهكذا.

قوله: (في رضا محبوبهم)؛ فيه توجيه أن تكون النصيحة لله لا لأن يُذكر بالمدح، لأنه من نصح أو علم أو خطب أو تلا كتاب الله أو تعلمه وعلمه يريد بذلك مدح الناس عُذَّب^(٣).

قوله: (بالعلم)؛ لأن النصيحة بدون علم ليست نصيحة،

(١) سورة إبراهيم، الآية ١.

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٣) كما أخرج الترمذي بسند صحيح من حديث أبي هريرة: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ» الحديث.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) ﴿١﴾.

وعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ -، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (٢). فقولُه: «لِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ» فهذه مصادر النصيحة؛ الكتاب والسنة. وأما النصح لأئمة المسلمين وعامتهم يعني لكل المسلمين فضلاً عن الكافرين.



(١) سورة الأعراف، الآية ٢٨.

(٢) أخرجه مسلم.

١٤. صَحِبُوا الْخَلَائِقَ بِالْجُسُومِ وَإِنَّمَا
أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

تراهم يشبهون البشر في الأكل والشرب والنكاح وعمارة الأرض، إلا أن أرواحهم وشوقهم ونظرهم إلى المنزل الفوقاني. وهذا ما يميزهم عن أهل الدنيا الذين يرون جنتهم فيها ويعتبرون مفارقتها مصيبة، لذلك تجدهم كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١).

وأما أهل الآخرة فيرون الدنيا سجن، ومفارقتها إلى المنزل الفوقاني بمثابة مَنْ خرج من سجنه إلى الحرية كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»^(٢). وورد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - أنه قال: «لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ - وَكَانَ خَالَهُ - يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ، قَالَ بِالدَّمِ هَكَذَا، فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»^(٣).

وفي الأثر عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ، قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: «أَلَا تَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ، فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا

(١) سورة البقرة، الآية ٩٦.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري.

بَأْسُهُ شَدِيدًا حَرُّهُ، فَأَقَاتِلْهُ فِيكَ وَيُقَاتِلْنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ
 حَتَّى أَقْتِلَهُ، وَآخِذَ سَلْبِهِ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ثُمَّ، قَالَ:
 اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا حَرُّهُ، شَدِيدًا بَأْسُهُ، أَقَاتِلْهُ فِيكَ
 وَيُقَاتِلْنِي، ثُمَّ يَا خُذْنِي فَيَجِدْ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقَيْتَكَ غَدًا قُلْتَ:
 يَا عَبْدَ اللَّهِ فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ،
 فَيَقُولُ: صَدَقْتَ. قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا بُنَيَّ كَانَتْ دَعْوَةُ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ
 أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ^(١).

فدعأوه طلباً للآخرة وليس للدنيا في حين أن أغلب
 الناس لا يطلبون إلا الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَمِنْ أَلْكَاسٍ مَنْ
 يَقُولُ رَبَّنَا ءَانِكَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(٢)،
 أما الطائفة الثانية ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَانِكَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
 وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣). قولهم (وقنا عذاب
 النار) يدل على أن ميولهم إلى الآخرة أكثر. فالمشاركة بالجسد
 لا تحتم على العبد المشاركة بالقلب، حيث يجب أن ينصرف
 قلبك في الدنيا إلى الآخرة.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرک.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٠١.

١٥. رَعَوْا الْخَلَائِقَ وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا

خَوْفًا عَلَى الْإِيمَانِ مِنْ نُقْصَانِ

أي حفظوهم كما كان حال النبي - ﷺ - حيث قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْفَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذُ بِحُجْرَتِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»^(١).

ومن حرص النبي ﷺ على هداية الناس كادت نفسه أن تذهب عليهم حسرات، قال الله تعالى له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾^(٢).

قوله: (خوفا على الإيمان)؛ أي من أجل الثبات على الدين، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٣). فإن استمر بالنقصان أوشك أن يخرج العبد من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام العام؛ إسلام الأعراب، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ

(١) أخرجه البخاري.

(٢) سورة فاطر، الآية ٨.

(٣) متفق عليه.

تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴿١﴾. ولا
يدخل الجنة ابتداء إلا المؤمن لقول النبي - ﷺ -: «يَا ابْنَ
الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا
الْمُؤْمِنُونَ»^(٢).



(١) سورة الحجرات، الآية ١٤.

(٢) أخرجه مسلم.

١٦. عَزَفُوا الْقُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا
قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سِوَى الرَّحْمَانِ

العزف هو الامتناع والابتعاد والاجتناب.

قال: (عزفوا القلوب) ولم يقل عزفوا الجوارح، لأن
الخطورة تكمن في تعلق القلب بالدنيا، ولا بأس في أن تكون
الدنيا في يد العبد فإذا جاء أمر الله قدّمه على الدنيا وألقاها
صاغرة من يده.



١٧. حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعَزُومُهُمْ لِلَّهِ لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ

إذا لم تكن الحركات والهموم والعزم لله، فهي بلا شك للخلق وللشيطان، وهذا لا يقبل الله به كما قال النبي - ﷺ -: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتَهُ وَشُرْكَهُ»^(١).

المسلم بين خيارين إما أن يكون من أهل الدنيا وهم أهل النار، وإما أن يكون من أهل الآخرة وهم أهل الجنة. والله جعل شرطاً لمن أراد الآخرة ولم يجعل شرطاً لمن أراد الدنيا، لأن من أراد الدنيا تلقائياً سعى لها سعيها وانكب عليها، و أما إرادته الآخرة فتحتاج صبراً ومصابرة، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾^(٢).

ثم إنه لو تشابه الفريقان في الأكل والشرب والزواج وغيره، إلا أن القلوب شغلها مغاير، كما قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدَّارِ الْأُولَىٰ ۚ كُلًّا مِمَّا كَسَبْتَ ۚ وَلَا تُسْوِغْ لِنَفْسِكَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي كَسَبَتْ بِذُنُوبٍ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٨).

(١) أخرجه مسلم.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٨ - ١٩.

الدُّنْيَا^(١). أي ابتغ بقلبك، وهذا ميزان لنا لنعلم من أي الفريقين نحن. وأيضا لتعلم أنت في أي فريق راقب مفاهيمك، فإن كنت تريد الآخرة سيظهر ذلك من خلال مفاهيمك وسلوكياتك.

فمثلاً :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «اتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: «الْمُفْلِسُ مَنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيُقْتَصَّرُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

هذا هو المفلس الحقيقي الذي يأتي يوم القيامة وقد خسر أعمالاً صالحة وأجوراً كثيرة لديون كانت عليه في الدار الدنيا من قذف وظلم وغيره، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٣). فيا عبد الله فلتعرض نفسك على ميزان النبي - ﷺ -، هل المفلس في عينك هو من خسر الدينار

(١) سورة القصص، الآية ٧٧.

(٢) أخرجه مسلم وغيره.

(٣) سورة الزمر، الآية ١٥.

والدرهم؟ أم أنه الذي غلبته نفسه على المعاصي؟

مثال آخر:

هل العظيم عندنا من يحفظ الزهراوين - البقرة وآل عمران -؟
أم العظيم عندنا الذي يحوز المال والجاه؟ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ: الْبَقْرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، جَدَّ فِينَا - يَعْنِي عَظَمَ -»^(١).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِنْ مِثْلِ هَذَا»^(٢).

فإذا كان العظيم عندنا خلاف ما عظمه النبي - ﷺ -
فعلينا إصلاح ما فسد في قلوبنا من اعتقادات ومفاهيم.

مثال ثالث:

عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: «لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ

(١) أخرجه الإمام أحمد، بسند صحيح.

(٢) متفق عليه.

أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا...»^(١) الحديث.

ففهم حنظلة من سؤال أبي بكر عن حاله أنه يسأله عن أمر دينه لا دنياه، وعليه لم يتفاجأ أبو بكر لأن هذا هو مراده من السؤال. ثم سأله عن الشيء الذي جعله يتهم نفسه بالنفاق.

مرة أخرى، فلنعرض أنفسنا على الميزان النبوي، هل منا من يريد بالسؤال عن أحوال الناس أحوالهم مع الله؟ أم أننا - إلا من رحم الله - غلب علينا دوماً هم الدنيا والانشغال بالسؤال عنها صباح مساء؟

فعلى كل منا أن يراقب همّه وهمته وسدّمه، ليكن همك اليومي مَنْ سَأْنَصِحَ الْيَوْمَ؟ على مَنْ سَأْتَصَدَّقَ؟ هل من جنازة أتبعها لأَحْصَلَ جَبَلِيَّ الْحَسَنَاتِ؟ وهكذا حتى لا تنطوي صحيفة يومك خالية من عمل صالح. وهذا الذي صرف النبي - ﷺ - أذهاننا إليه لتكون جردة حسابنا اليومية مشتملة على الهم الحقيقي والذي هو هم الآخرة، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ

(١) أخرجه مسلم.

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ
 أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ
 أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ
 أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي
 امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).



(١) أخرجه مسلم.

١٨. نِعَمَ الرَّفِيقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي
تُفْضِي إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

الإرشاد هنا إلى مصاحبة المؤمن الذي يبين لك حقيقة الدنيا، ويدلك على الله والدار الآخرة، وقد أرشدنا إلى ذلك النبي - ﷺ - بقوله: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢). فحريّ بالعبد أن يرفع إيمانه وإيمان الناس، ويسأل الله الثبات كما كان دأب النبي ﷺ حيث كان يكثر من قول: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه الترمذي وغيره وحسنه الألباني.
(٢) أخرجه الإمام أحمد وغيره وحسنه الألباني.
(٣) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.